الفصل العاشر

نهاية المطاف

وفاة الشيخ طنطاوى :

فى صباح يوم الجمعة ٣ من ذى الحجة سنة ١٣٥٨هـ - ١٢ من يناير سنة ١٩٤٠ انتقل إلى رضوان ربه المغفور له الشيخ طنطاوى جوهرى بعد أن استطالت خدماته وتواصلت منذ فجر النهضة المصرية . وكان من طبقة أبطال النهضة الحديثة وأقطاب التجديد وحملة لواء القلم وحماة الدين القويم فى مصر ، بل فى الشرق ، بل فى العالم الإسلامى كله .

وقد كان رحمه الله يواصل جهاده الحافل فى العمل على توحيد شعوب الإسلام تحت راية التوحيد ، ولم يقعد به مرضه الأخير عن هذه الدعوة حتى لزم الفراش ، وانتقلت روحه إلى الرفيق الأعلى وقد بلغ من العمر الثامنة بعد السبعين .

وعندما تسامع المسلمون بنعيه أقبلوا من كل فج لتوديعه الوداع الأخير ، وحضر ممثلو الجماعات والهيئات الإسلامية وفى طليعتها « جماعة الأخوة الإسلامية المؤلفة من جميع الأقطار الإسلامية » ، التى كان الفقيد علماً من أعلامها ، وركنا من أركانها ، وعلى رأسهم وكيل الجماعة وسكرتيرها للاشتراك فى تشييعه إلى مرقده الأخير .

وبعد أن وورى جسده الطاهر تبادل الخطباء من جميع الهيئات المراثى التى أدمت القلوب ، وأفاضت الدموع . وكان من بينهم فضيلة الشيخ صاوى شعلان وكيله فى قسم التحرير ؛ إذ تقدم بتعزية الجماعة إلى أسرته وذكر مآثر الفقيد ، وختم كلمته بأبيات شعر ارتجلها . .

نعيه فى الصحف :

وقد نعته جميع الصحف العربية ، ونكتفى هنا بالنعى الذى جاء بجريدة « المقطم » فى مساء الجمعة ١٢ من يناير سنة ١٩٤٠ وهذا نصه :

« وفاة عالم فاضل

« اختار الله إلى جواره فى فجر اليوم عالماً عاملاً ، وأديبا ضليعا ، ومربيا فاضلا ، وكاتبا اجتماعيا كبيرا هو المرحوم الأستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى بعد ما أشرف على الثامنة والسبعين من عمره الحافل بشتى الجهود المشكورة فى سبيل الدين والعلم والأدب .

« وقد ترك رحمه الله عدة مؤلفات فى فنون أدبية واجتماعية كثيرة تدل على ما كان له من واسع الاطلاع وعميق البحث ودقة الفهم ، وهى صفات اشتهر بها طول خدمته فى وزارة المعارف حتى انتقل إلى الدار الخالدة .

« وكان آخر مؤلفاته النفيسة كتباً ضمنها رأيه فى السلام العالمى واشترك بها من بضعة أشهر فى جائزة نوبل للسلام بعد ما أعجب بها بعض الكتاب الغربيين فترجمها له .

« رحمه الله رحمة واسعة ، وعزى عنه العلماء والأدباء خير عزاء ، وألهم آله جميل الصبر والسلوان »

* * *

نعى جمعية الشبان المسلمين :

ونشرت الصحف اليومية ما يلى :

« تلقينا من المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين أنها تنعى إلى مصر والعالم الإسلامى أحد أعضائه البارزين ، وهو المرحوم فضيلة الأستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى . غادرنا بعد جهاد طويل فى سبيل نصرة الإسلام . وله تأثيره الكبير فى ماضى الإسلام وحاضره ؛ فهو لا يكافح ويناضل فى سمو مبادئ الإسلام وقواعده فحسب ، بل كافح وناضل عن القضية المصرية بما يشهد له به التاريخ أنه كان من أخلص أنصار القضية المصرية والعمل على استقلال البلاد استقلالا لا مرية فيه .

« وقد خلف وراءه من الأناشيد الوطنية وكتابه « نهضة الأمة وحياتها » الذى نشر تباعاً فى جريدة اللواء أيام مؤسس النهضة الوطنية وزعيمها الأول مصطفى كامل باشا — ما يشهد له بطول الباع ، وصحة النظر ، وقوة الإيمان فيما كان يدعو له .

«وليس المقام مقام سرد مآثر الفقيد ؛ فذلك يطول شرحه ، وإنما هو نعى ، ونعى ذلك الراحل الجليل الذى لا يسعنا إزاء هذا الخطب الفادح الذى حل بالعالم الإسلامى إلاّ أن نسترجع ونقول : «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

* * *

وهكذا كان ارتياع العالم الإسلامى كله من أقصاه إلى أقصاه . .

وهكذا سكن القلب الكبير الذى طالما خفق بحب الإسلام والجهاد فى سبيله . .

وهكذا وقف الفكر الجوّال الذى فكر فى تعليم المسلمين وإصلاح أمورهم دهراً طويلا ، وهدأت النفس الأبية ، الثائرة التى دأبت تدعو إلى تزكية عقول المسلمين ونفوسهم حقبا كثيرة ، وكانت فى شيخوختها كما قال المتنبى :

وفى الجسم نفس لا تشيب بشيبه ولو أن ما فى الوجه منه حراب

وهكذا تعطل القلم الجرىء فى التأليف عشرات السنين غير عاثر ولا وان . .

ولكن . . هل مات الشيخ طنطاوى جوهرى حقا ؟ . . كلا ، إنه إنما انتقل من العالم المادى ، عالم الفناء . . إلى العالم الروحى ، عالم البقاء والخلود . . وسيظل اسمه مخلداً فى الحياة الدنيا على مر الأيام بين العلماء العاملين المخلصين . جزاه الله عن جهاده لمصلحة المسلمين وخدمة الإسلام ، والدعوة للسلام بأضعاف ما أوفى وهو كثير .

وسلام عليه فى الخالدين إلى يوم الدين .